مترجم من الإنجليزية إلى العربية - www.onlinedoctranslator.com

كاتدرائية

بقلمريموند كارفر (1981)

كانهذا الرجل الكفيف، صديق قديم لزوجتي، في طريقه لقضاء الليلة عند أقاربها في كونيتيكتبعد وفاة زوجته. اتصل بزوجتي من منزل أهل زوجته، وتم الترتيب للقاء. سيأتي بالقطار، فيرحلة تستغرق خمس ساعات، وستقابله زوجتي في صيف سياتل قبل عشر سنوات. لم تره منذأن عملت لديه ذات مرة. لكنها حافظت على التواصل مع الرجل الكفيف، حيث سجلا رسائل صوتيةوتبادلاها بالبريد. لم أكن متحمساً لزيارتك، فهو ليس شخصاً أعرفه، وقد أزعجني كونه كفيفاً.كانت فكرتي عن العمى مستوحاة من السينما، حيث كان الرجل الكفيف يتحرك ببطء ولا يضحكأبداً، وأحياناً يقوده كلب إرشاد. لم أتوقع أبداً وجود كفيف في منزلي.

فيذلك الصيف في سياتل، كنتُبحاجة إلى وظيفة. لم تكن تملك مالاً. وكان الرجل الذي ستتزوجهفي نهاية الصيف يدرس في كلية تدريب الضباط. لم يكن يملك مالاً أيضاً. لكنها كانت مغرمةبه، وكان مغرماً بها، وهكذا. رأيتُإعلاناً في الجريدة: مطلوب: قارئ لرجل كفيف وهاتف.

اتصلتبالرقم وذهبت إلى هناك، فوظفوها على الفور. عملت مع هذا الرجل الكفيف طوالالصيف. كانت تقرأ له أشياءً دراسات حالة، تقارير، وما شابه. ساعدته في تنظيم مكتبه الصغيرفي قسم الخدمات الاجتماعية بالمقاطعة. أصبحا صديقين حميمين، زوجتي والرجل الكفيف.في يومه الأخير في المكتب، سألها الرجل الكفيف إن كان بإمكانه لمس وجهها. وافقت علىذلك. أخبرتني أنه لمس كل جزء من وجهها بأصابعه، أنفها... حتى رقبتها! لم تنسه أبداً. حتى أنهاحاولت كتابة قصيدة عن ذلك. كانت دائماً تحاول كتابة قصيدة. كانت تكتب قصيدة أو اثنتينكل عام، عادةً بعد حدوث شيء مهم حقاً له. عندما بدأنا المواعدة، أرتني القصيدة. في القصيدة،تذكرت أصابعه والطريقة التي تحركت بها على وجهه. في القصيدة، تحدثت عما شعر به فيتلك اللحظة، عما كان يدور في ذهنه عندما لمس الرجل الكفيف أنفه وشفتيه. أتذكر أنني لم أفكركثيراً في القصيدة. بالطبع، لم أخبره بذلك. ربما أنا ببساطة لا أفهم الشعر. أعترف أنه ليس أول ماأختاره عندما أريد قراءة شيء ما.

علىأي حال، هذا الرجل الذي نال منها في البداية، هذا الضابط المستقبلي، كان حب طفولتها.حسناً. أقول هذا في نهاية الصيف. سمح للرجل الكفيف أن يمرر يديه على وجهه، ودعّه، وتزوجمن حبيب طفولتها، إلخ، الذي أصبح الآن ضابطاً، وغادر سياتل. لكنهما سيبقيان على اتصال،هي وهو الكفيفان. أجرى أول اتصال بينهما بعد حوالي عام. اتصلت به ليلاً من قاعدة جوية فيألاباما. أرادت التحدث. فتحدثا.

طلب‌منها أن ترسل له شريطاً وتخبره فيه عن حياتها. فعلت ذلك. أرسلت الشريط.على الشريط، أخبرت الرجل الكفيف أنها تحبه. زوجها، لكنها لم تكن تحب المكان الذي يعيشان‌فيه، ولم تكن تحب أنه كان جزءاً من النظام العسكري الصناعي. أخبر الرجل الكفيف أنه كتب‌قصيدة وأنه كان جزءاً منها. أخبرته أنها تكتب قصيدة عن شعورها كزوجة ضابط في سلاح الجو.لم تكن القصيدة قد انتهت بعد. كانت لا تزال تكتبها. سجل الرجل الكفيف شريطاً. أرسلت شريطاً.سجلت شريطاً. هذا يعود إلى سنوات مضت. أرُسل ضابط زوجتي إلى قاعدة ثم إلى أخرى. أرسلت‌أشرطة من قاعدة مودي الجوية، وماكغواير، وماكونيل، وأخيراً ترافيس، بالقرب من سكرامنتو،حيث شعرت ذات ليلة بالوحدة والعزلة عن الناس الذين استمرت في فقدانهم في تلك الحياة‌المتنقلة. شعر أنه لا يستطيع اتخاذ خطوة أخرى. دخل وابتلع جميع الحبوب والكبسولات في خزانة‌الأدوية وشرب معها زجاجة من جنيف. ثم دخل إلى حمام ساخن وفقد وعيه.

لكن‌بدلاً من أن يموت، مرض. تقيأت. ضابطك... لماذا يجب أن يكون لك اسم؟ لقد كان حب‌طفولتي، وماذا غير ذلك؟ ماذا يريد؟ عدت إلى المنزل من مكان ما، ووجدتها، واتصلت بالإسعاف.مع مرور الوقت، سجل كل شيء وأرسله إلى الرجل الكفيف. على مر السنين، سجل كل أنواع‌الأشياء على أشرطة وأرسلها بسرعة. بالإضافة إلى كتابة قصيدة كل عام، أعتقد أنها كانت وسيلتهم‌الرئيسية للترفيه. على شريط، أخبر الرجل الكفيف أنه قرر العيش بعيداً عن ضابطه لفترة من‌الوقت. في شريط آخر، أخبرته عن طلاقها. بدأت أنا وهي نتواعد، وبالطبع أخبرت زوجها الكفيف.أخبرها بكل شيء، أو هكذا بدا لي. ذات مرة سألتني عما إذا كنت أرغب في الاستماع إلى الشريط‌الأخير للرجل الكفيف. كان هذا قبل عام. قال إنه كان على شريط. فقلت حسناً، سأستمع إليه.أحضرت بعض المشروبات وجلسنا في غرفة المعيشة. نستعد للاستماع. أولاً، أدخلت الشريط في‌المشغل وضبطت بعض الأزرار. ثم ضغطت على رافعة. صرّ‌الشريط وبدأ أحدهم يتحدث بصوت‌عالٍ خفضّت الصوت. بعد دقائق من حديث عابر، سمعت اسمي على لسان هذا الغريب،هذا الرجل الكفيف الذي لم أكن أعرفه! ثم قال: "من كل ما قلته عنه، لا يسعني إلا أن أستنتج..." لكن قاطعنا طرق على الباب، أو شيء من هذا القبيل، ولم نعد إلى الشريط. ربما كان ذلك‌أفضل. لقد سمعت كل ما أردت.

ثم‌جاء نفس الرجل الكفيف ليبيت عندي. قلت لزوجتي: "ربما أستطيع اصطحابه للعب البولينج". كانت تعُدّ‌البطاطا المهروسة في المصفاة. وضع السكين الذي كان يستخدمه وانقلب على‌ركبتيه.

قال:"إذا كنت ِتحبينني، يمكنك ِفعل هذا من أجلي. أما إذا كنت ِلا تحبينني، فأنا بخير. لكن لوكان لديك صديق، أي صديق، وجاء ذلك الصديق لزيارتك، لشعرت بالراحة. جفف يديه بمنشفة المطبخ.قلت: "ليس لدي أصدقاء مكفوفين".

قال:"ليس لديك أصدقاء. انتهى الأمر. ثم أضاف: "يا إلهي، لقد ماتت زوجتك للتو! ألا تفهم‌ذلك؟ لقد فقد هذا الرجل زوجته!"

لمأجُب. أخبرني قليلاً عن زوجة الرجل الكفيف. كان اسمها بيولا. بيولا! هذا اسم امرأة.

سألت:"هل كانت زوجتك سوداء؟"

قالتزوجتي: "أنت مجنون؟ هل استدرت فجأة أم ماذا؟" أمسكت حبة بطاطا. رأيتها تسقطعلى الأرض ثم تتدحرج تحت الموقد. "ما بك؟"

قالت:"هل أنت ثمل؟"

قلت:"أنا فقط أسأل".

فيذلك الوقت، أخبرتني زوجتي بتفاصيل أكثر مما كنت أرغب في معرفتها. أعددت مشروباًوجلست على طاولة المطبخ أستمع. بدأت أجزاء من القصة تتضح.

ذهبتبيولا للعمل لدى الرجل الكفيف في الصيف الذي تلى توقف زوجتي عن العمل لديه.وسرعان ما تزوجت بيولا من الرجل الكفيف في الكنيسة. كان حفل زفاف صغيراً (من سيرغبفي حضور حفل زفاف كهذا أصلاً؟)، اقتصر على حضورهما فقط، بالإضافة إلى القس وزوجته.على أي حال، كان حفل زفاف للكنيسة. هذا ما أرادته بيولا، كما قالت. ولكن حتى مع ذلك، كانعلى بيولا أن تتزوج بعد أن أصيبت بالسرطان في غددها. بعد أن كانا لا يفترقان لمدة ثماني سنوات(على حد تعبير زوجتي، لا يفترقان)، تدهورت صحة بيولا بسرعة. توفيت في غرفة بمستشفىفي سياتل، وكان الرجل الكفيف يجلس بجانب سريرها ممسكاً بيدها. تزوجا، وعاشا وعملامعاً، وناما معاً (مارسا الجنس بالطبع)، ثم اضطر الرجل الكفيف إلى دفنها. كل هذا بدونها، ما كانليرى أبداً كيف كانت حال تلك المرأة اللعينة. كان الأمر يفوق استيعابي. عندما سمعت هذا، شعرتببعض الشفقة على الرجل الكفيف. ثم وجدت نفسي أفكر في مدى بؤس تلك الحياة التي انتهتبهذه المرأة. تخيل امرأة لم تستطع أن ترى نفسها كما يراها حبيبها. امرأة تمضي أيامها دون أنتتلقى أدنى كلمة إطراء منه. امرأة لا يستطيع زوجها قراءة تعابير وجهها، سواء أكانت بؤساً أم فرحاً.امرأة تضع المكياج أو لا، ما الفرق؟ لو أرادت، لكانت وضعت ظلال عيون خضراء حول إحدى عينيها،ودبوساً في أنفها، وبنطالاً أصفر وحذاءً بنفسجياً، أياً كان. ثم تنزلق نحو الموت، يد الرجل الأعمىفي يدها، وعيناه تدمعان (أتخيل ذلك الآن)، ولعل آخر ما تفكر فيه هو: أنه لم يكن يعرف حتىكيف كان، وأنه كان في طريق سريع إلى القبر.

لميتبقّ لروبرت سوى مبلغ تأمين زهيد ونصف عملة مكسيكية من فئة عشرين بيزو. أما النصفالآخر من العملة فقد وضُع في الصندوق معها. يا للشفقة!

لذاعندما حان الوقت، ذهبت زوجتي إلى المستودع لأخذها. وبما أنه لم يكن لدي ما أفعله سوىالانتظار (وبالطبع، ألقيت اللوم عليه في ذلك)، كنت أحتسي مشروباً وأشاهد التلفاز عندما سمعتصوت السيارة وهي تتوقف على جانب الطريق.

رأيتزوجتي تضحك وهي تركن السيارة. رأيتها تخرج منها وتغلق الباب. كانت الابتسامة لا تزالعلى وجهها. يا للعجب! التفتت نحو الجانب الآخر من السيارة، حيث كان الرجل الكفيف قد بدأبالخروج. هذا الرجل الكفيف، يقدم هذا،

كانتلديه لحية كثيفة!

لحيةلرجل أعمى! هذا كثيرٌجداً، أقول. مدّالرجل الكفيف يده إلى المقعد الخلفي وأخرج حقيبةسفر. أمسكت زوجتي بذراعه، وأغلقت باب السيارة، وتحدثت معه طوال الطريق، ثم قادته إلىأسفل الممر ثم إلى أعلى الدرج المؤدي إلى الشرفة الأمامية. أطفأت التلفاز. أنهيت مشروبي، وغسلتالكأس.

جففتيديّ. ثم ذهبت إلى الباب.

قالتزوجتي: "أريدك أن تتعرف على روبرت. روبرت، هذا زوجي."

لقدأخبرتكِبكل شيء عنه." كانت متألقة. كنتُأمسك هذا الرجل الكفيف من كم معطفه.

أسقطالرجل الكفيف حقيبته ورفع يده.

أخذته.ضغط بقوة، ثم أمسك بيدي وتركها.

صرخقائلاً: "أشعر وكأننا نعرف بعضنا البعض بالفعل".

قلتُ:"وأنا كذلك". لم أكن أعرف ماذا أقول غير ذلك. فقلتُ:

"أهلاًوسهلاً. لقد سمعت الكثير عنكم." ثم بدأنا بالتحرك، كمجموعة صغيرة.
منالشرفة إلى غرفة المعيشة، كانت زوجتي تقوده من ذراعه. كان الرجل الكفيف يحمل حقيبته بيدهالأخرى. قالت زوجتي عبارات مثل: "تفضل، هذه حقيبتك". يسار يا روبرت. هكذا هي الأمور. انظرإليها الآن، هذا كرسي. هذا كل شيء. اجلس هنا. هذه الأريكة. اشترينا هذه الأريكة قبل أسبوعينفقط.

بدأتُأتحدث عن الأريكة القديمة. كنتُأحبها. لكنني لم أنطق بكلمة. لذا أردتُأن أقول شيئاًآخر، حديثاً قصيراً، عن الرحلة الخلابة على طول نهر هدسون. كيف أنه للذهاب إلى نيويورك، يجبأن تجلس على الجانب الأيمن من القطار، وإذا كنتَقادماً من نيويورك، فعليك الجلوس علىالجانب الأيسر.

قلت:"هل استمتعت برحلة القطار؟ من أي جانب من القطار جاء؟ هل أنت جالس بالمناسبة؟"

قالتزوجتي: "أي سؤال؟ وأي جانب؟" "ما أهمية أي جانب؟"
قال.

قلت:"لقد سألت فقط".

قالالرجل الكفيف: "الجانب الأيمن". "لقد مرّما يقارب الأربعين عاماً منذ أن ركبتُ قطاراً.لم أركبه منذ طفولتي. مع والديّ. لقد مرّوقت طويل. كدتُأنسى ذلك الشعور. الآن وقد تساقطشعر لحيتي،" قال. "هذا ما قيل لي على أي حال. هل أبدو أنيقاً يا عزيزتي؟" قال الرجل الكفيفلزوجتي.

قال:"تبدو شخصاً مميزاً يا روبرت". قال: "روبرت".

"روبرت، من دواعي سروري رؤيتك."

أخيراً رفعت زوجتي عينيها عن الرجل الأعمى ونظرت إليّ.

كانلديه شعور بأنه لم يعجبه ما رآه. هززت كتفي.

لميسبق لي أن التقيت أو عرفت شخصياً أي شخص كفيف. كان هذا الرجل الكفيف في الأربعينمن عمره تقريباً، بديناً، أصلعاً، ومنحني الكتفين، كما لو كان يحمل ثقلاً كبيراً. كان يرتدي بنطالاًبنياً، وحذاءً بنياً، وقميصاً بنياً فاتحاً، وربطة عنق، وسترة رياضية. أنيق. وكانت لحيته كثيفة. لكنهلم يكن يستخدم عصا ولم يكن يرتدي نظارة شمسية. لطالما اعتقدت أن النظارات ذات العدساتالداكنة ضرورية للمكفوفين. في الحقيقة، أتمنى لو كان لديّ واحدة. للوهلة الأولى، بدت عيناهكأي عينين عاديتين. لكن إذا دققت النظر، ستجد شيئاً مختلفاً فيهما. بياض زائد في القزحية،على سبيل المثال، ويبدو أن بؤبؤي عينيه يتحركان في محجريهما دون وعي منه أو قدرة علىإيقاف ذلك. أمرٌ غريب. عندما نظرت إلى وجهه، رأيت أن بؤبؤ عينه اليسرى قد اتجه نحو أنفه بينمابذلت الأخرى جهداً للبقاء في مكانها. لكنه كان مجرد جهد، لأن تلك العين كانت تتجول دون وعيمنه أو رغبة منه في ذلك.

قلت:"دعني أحضر لك مشروباً. ما الذي ترغب فيه؟ لدينا القليل من كل شيء. إنها إحدى هواياتنا."

قالبصوته الجهوري: "يا صديقي، أنا اسكتلندي أيضاً". قلت: "صحيح". ههه! "بالتأكيد أنتكذلك. كنت أعرف ذلك".

تركأصابعه تلمس حقيبته الموضوعة بجانب الأريكة. كان يحاول استيعاب المكان. لم ألومهعلى ذلك. قالت زوجتي: "سأنقلها إلى غرفتك". قال الرجل الكفيف بصوت عالٍ: "لا، لا بأس. ستصعدإلى الأعلى عندما أصعد أنا".

"قليل من الماء مع الويسكي؟"

قلتُ:"قليل جداً". قال: "قليل جداً".

قلت:"كنت أعرف ذلك".

قال:"قليلاً فقط. الممثل الأيرلندي باري فيتزجيرالد؟ أنا كذلك يا صديقي. عندما أشرب الماء،كما قال فيتزجيرالد، أشرب الماء. وعندما أشرب الويسكي، أشرب الويسكي." ضحكت زوجتي.وضع الرجل الكفيف يده تحت لحيته. رفع لحيته ببطء وتركها تسقط.

أعددتُ المشروبات، ثلاثة أكواب كبيرة من الويسكي مع قليل من الماء في كل كوب. ثم استرخيناوتحدثنا عن وضع روبرت ورحلاته. بدأنا بالحديث عن الرحلة الطويلة من الساحل الغربي إلىكونيتيكت، ثم من كونيتيكت إلى هنا بالقطار. تناولنا مشروباً آخر في تلك المرحلة من الرحلة.

تذكرتُ أنني قرأتُ في مكانٍ ما أن المكفوفين لا يدخنون، لأنهم، كما يشُاع، لا يستطيعون رؤيةالدخان الذي يزفرونه. كنتُ أعرف هذا فقط عن المكفوفين. لكن هذا الرجل الكفيف أشعل سيجارتهحتى النهاية ثم أشعل أخرى.

قامهذا الرجل الكفيف بملء منفضة سجائره، وقامت زوجتي بتفريغها. عندما جلسنا في علىمائدة العشاء، تناولنا مشروباً آخر. ملأت زوجته طبق روبرت بمكعبات اللحم، والبطاطا المخبوزة،والفاصوليا الخضراء. دهنتُ شريحتين من الخبز بالزبدة. وقلت: "هذا خبز وزبدة لك". " أنتِ" ابتلعتُ رشفةً صغيرةً من مشروبي. "والآن فلنصلِّ" قلتُ، فأخفض الرجل الكفيف رأسه. نظرتإليّ زوجتي وفمها مفتوح. "صليّ ألا يرن الهاتف وألا يبرد الطعام،" قلتُ. دخلنا. أكلنا كل ما كانعلى الطاولة. أكلنا وكأن الغد غير موجود. لم نتحدث. أكلنا. التهمنا الطعام بشراهة. لمسنا الطاولة.كنا نحب أن نأكل بجدية. كان الرجل الكفيف قد حدد مكان طعامه على الفور، كان يعرف بالضبطمكان كل شيء في طبقه. راقبته بإعجاب وهو يستخدم سكينه وشوكته في اللحم. قطع قطعتينمن اللحم، ووضعهما في فمه بالشوكة، ثم تناول بطاطس غراتان، ثم الفاصوليا، ثم مزق قطعةمن الخبز والزبدة وناولها لها.

كنتُ آكل. ثم أتبع ذلك بشرب كمية كبيرة من الحليب. لم يبدُ أنه يمانع استخدام أصابعه أيضاً.من حين لآخر. أنهينا كل شيء، بما في ذلك نصف كعكة الفراولة. في بعض الأحيان، كنا نجلسهناك كما لو كنا مذهولين. نشتم بكلمات بذيئة. أخيراً، تمكنا من النهوض من على الطاولة وتركالأطباق المتسخة. لم ننظر إلى الوراء. توجهنا إلى غرفة المعيشة وعدنا إلى أماكننا.

جلسروبرت وزوجتي على الأريكة، وجلستُ أنا على الكرسي الكبير. تناولنا مشروبين أو ثلاثةأخرى، بينما كانوا يتحدثون عن أهم الأحداث التي مروّا بها في السنوات العشر الأخيرة.

فيأغلب الأحيان، كنت أستمع فقط. من حين لآخر كنت أنضم. لا، أرادت أن يعتقد أنها غادرتالغرفة، ولم تكن تريدها أن تعتقد أنني أشعر بالإقصاء. تحدثوا عن أشياء حدثت لهم (لهم!) خلالالسنوات العشر الماضية. انتظرت عبثاً أن أسمع اسمي على شفتي زوجتي الرقيقتين: "ثم دخلزوجي العزيز حياتي" - شيء من هذا القبيل. لكنني لم أسمع شيئاً من هذا القبيل. المزيد من المحادثاتعن روبرت. يبدو أن روبرت قد صنع القليل من كل شيء، رجل أعمى يفعل كل ما في وسعه.ولكن مؤخراً، كان لديه هو وزوجته توزيع لشركة أمواي، والتي، كما هو الحال، كسبوا منها عيشهم.كان الرجل الأعمى أيضاً محباً للظهور. تحدث بصوت عالٍ عن المحادثات التي أجراها مع زملاءله في غوام والفلبين وألاسكا وحتى تاهيتي. قال إنه سيكون لديه العديد من الأصدقاء هناك إذاأرادت زيارتهم في تلك الأماكن. من حين لآخر، كنت أعود بوجهه الأعمى نحوي، فيضع يده تحتلحيته، ويسألني شيئاً: كم مضى عليّ في منصبي الحالي؟ (ثلاث سنوات). هل كنت أحب عملي؟(لم أكن أحبه).

هلسأستمر على هذا المنوال؟ (ما هي الخيارات المتاحة؟) وأخيراً، عندما ظننتأنني بدأت أشعر بالإرهاق، فنهضت وشغلت التلفاز.

نظرتإلي زوجتي بانزعاج. كان الأمر على وشك أن يغلي. ثم نظر إلى الرجل الكفيف وقال: " روبرت،هل لديك تلفاز؟"

قالالرجل الكفيف: "يا عزيزتي، لديّ جهازان للتلفزيون. لديّ جهاز ملون وآخر أبيض وأسود،قطعة أثرية قديمة. من المضحك أنني عندما أشغل التلفزيون، وأنا دائماً ما أشغله، أشغل التلفزيونالملون. أليس هذا مضحكا؟"

لمأكن أعرف ماذا أقول حيال ذلك. لم يكن لدي أي شيء لأقوله بشأنه.

ليسلدي رأي. لذا شاهدت البرنامج الإخباري وحاولت الاستماع إلى ما يقوله المذيع.

قالالرجل الكفيف: "هذا تلفزيون ملون. لا تسألني كيف، لكن يمكنني أن أخبرك."

قلت:"لقد تغيرنا منذ فترة".

حاولالرجل الكفيف شرب مشروبه مرة أخرى. رفع لحيته، شمّ، ثم أسقطه. انحنى للأمام علىالأريكة. وضع منفضة سجائره على طاولة القهوة، ثم أشعل سيجارته. استند للخلف على الأريكة،ووضع ساقاً فوق الأخرى. غطت زوجتي فمها ثم تثاءبت. تمددت وقالت: "أظن أنني سأصعدإلى الطابق العلوي وأرتدي رداءي. أظن أنني سأغير ملابسي وأرتدي شيئاً آخر". قال: " روبرت،اجلس براحة". قال الرجل الكفيف: "أنا مرتاح".

قال:"أريدك أن تشعر بالراحة في هذا المنزل".

قالالرجل الكفيف: "أنا مرتاح".

بعدأن غادرت الغرفة، استمعنا أنا وهو إلى التقرير الجوي ثم ملخص المباريات الرياضية. فيذلك الوقت، كانت قد غابت لفترة طويلة لدرجة أنني لم أكن أعرف ما إذا كانت ستعود أم لا. ظننتُأنه ربما ذهب إلى النوم. تمنيتُلو أنه نزل إلى الطابق السفلي. لم أكن أريد أن أبقى وحدي معرجل كفيف. سألته إن كان يريد مشروباً آخر، فأجاب بالإيجاب. ثم سألته إن كان يريد تدخين بعضالحشيش معي. قلتُله إنني قد شربتُجرعةً للتو. لم أصُب بالجنون بعد، لكنني كنتُ أخططلفعل ذلك في غضون أسبوعين تقريباً.

قال:"سأجرب بعضاً منها عليك".

قلت:"اللعنة، هذا هو الأمر."

تناولنامشروباتنا وجلست معه على الأريكة. ثم حصلت على رقمين كبيرين. شغلّتُواحدةً منها ومررتها إليه. أخذتها إلى أصابعه. أخذها واستنشقها.

قلت:"انتظر قدر استطاعتك". أدركت حينها أنني لا أعرف شيئاً.

نزلتزوجتي من الدرج وهي ترتدي رداءها الوردي ونعالها الوردية.

قالت:"ما هذه الرائحة؟"

قلت:"كنا نظن أننا سنحصل على بعض القنب".

نظرتإليّ زوجتي نظرةً حادة. ثم نظر إلى الرجل الكفيف وقال: "روبرت، لا تقل هذا، كنت أعرفأنك تدخن."

قال:"نعم يا عزيزتي، لكل شيء بداية. لكنني ما زلت لا أشعر بشيء".

قلت:"هذا هادئ جداً. إنه خفيف. إنه دواء يمكنك التفكير معه. إنه لا يدمرك."

قالضاحكاً: "ليس كثيراً يا صديقي".

جلستزوجتي على الأريكة بيني وبين الرجل الكفيف. أعطيته الرقم. أخذته، دخنه ثم أعاده إليّ.قالت: "إلى أين سيؤدي هذا؟". ثم قال: "لا يجب أن أدخن هذا. بالكاد أستطيع إبقاء عينيّ مفتوحتين.في ذلك العشاء سأقتل نفسي. ما كان يجب أن آكل كل هذا."

قالالرجل الكفيف: "كانت كعكة الفراولة هي السبب". وأضاف ضاحكاً ضحكته العالية: " هذاما فعلها". ثم هز رأسه.

قلت:"هناك المزيد من كعكة الفراولة القصيرة".

قالتزوجتي: "هل تريد المزيد يا روبرت؟"

قال:"ربما بعد فترة".

نوليإهتمامنا للتلفاز. تثاءبت زوجتي مرة أخرى. قالت: "سريرك مرُتب عندما تشعر برغبة فيالنوم يا روبرت. أعلم أن يومك كان طويلاً. عندما تكون مستعداً للنوم، قلها." جذبت ذراعه. " روبرت؟" استعاد وعيه وقال: "لقد استمتعت كثيراً. هذا أفضل من التسجيلات، أليس كذلك؟"

قلتُ:"سآتي إليك"، ووضعتُ الرقم بين أصابعه. استنشق الدخان، وحبسه، ثم أطلقه. كان الأمركما لو أنني كنتُ أفعل هذا منذ أن كان عمره تسع سنوات.

قال:"شكراً يا صديقي. لكنني أعتقد أن هذا كل ما في الأمر بالنسبة لي. أعتقد أنني بدأت أشعر قال:"هذا هو". ثم ناول زوجتي الصرصور المحترق.

قال:"يحدث الشيء نفسه هنا". "وأنا كذلك". أخذت الصرصور، فأعطاني إياه. "ربما سأجلسهنا لبعض الوقت بينكما وأراقبكما بعيني".

قال:"لا تدع الأمر يزعجك، حسناً؟ أياً منكما. إن كان يزعجك، فقل ذلك. وإلا فقد أجلس هنا وعيناي مغمضتانحتى تصبحا مستعدين للنوم. سيكون سريرك مرتباً يا روبرت عندما تكون مستعداً. إنه بجوارغرفتنا مباشرةً أعلى الدرج."

سنريككيف تنهض عندما تكون مستعداً. أيقظوني الآن يا أولاد، إن بقيت نائماً". قال ذلكثم أغمض عينيه ونام. انتهى البرنامج الإخباري. نهضتُ وغيرت القناة. استلقيتُ على الأريكة. تمنيتُ لو أن زوجتي لم تكن قد تبرزت. كان رأسها متقاطعاً على ظهر الأريكة، وفمها مفتوح. كانت قداستدارت بحيث انزلق الرداء عن ساقيها، كاشفاً عن فخذ ممتلئ. هممتُ بسحبه. غطاها بالرداء مرةأخرى، وعندها نظرتُ إلى الرجل الأعمى. يا للهول! فتحتُ الرداء مرة أخرى.

قلت:"قل متى تريد كعكة الفراولة القصيرة". قال: "سأفعل".

قلت:"هل أنت متعب؟ هل تريدني أن آخذك إلى سريرك؟"

هلأنت مستعد للنوم؟

قال:"ليس بعد. لا، سأبقى معك يا صديقي. نعم، هذا جيد."

سأبقىمستيقظاً حتى تصبح مستعداً للنوم. لم تتح لنا الفرصة للتحدث. أتعلم؟ أشعر وكأنناحتكرنا المساء. رفع لحيته وتركها تسقط. ثم أمسك سجائره وولاعته.

قلت:"حسناً". ثم قلت: "أنا سعيد من أجل الشركة".

وأظنأن الأمر كان كذلك. كنت أدخن المخدرات كل ليلة وأبقى مستيقظاً لأطول فترة ممكنةقبل أن أغفو. نادراً ما كنت أنا وزوجتي ننام في نفس الوقت. عندما كنت أنام، كنت أرى أحلاماًغريبة. أحياناً كنت أستيقظ من أحدها ويخفق قلبي بشدة. كان التلفاز يعرض شيئاً عن الكنيسةوالعصور الوسطى. ليس برنامجاً عادياً. أردت أن أرى شيئاً آخر. غيرت القناة. لكن لم يكن هناكشيء عنهما أيضاً. فعدت إلى القناة الأولى واعتذرت. قال الرجل الكفيف: "يا صديقي، لا بأس.لا بأس بالنسبة لي. ما تريد مشاهدته مناسب. أنا دائماً أتعلم شيئاً جديداً، والتعلم لا ينتهي.لن يضرني أن أتعلم شيئاً الليلة. لدي آذان."

لمنتحدث لبعض الوقت. كان يميل للأمام ورأسه ملتفت نحوي، وأذنه اليمنى تشير إلى جهازالتلفاز. كان الأمر محيراً للغاية. بين الحين والآخر، كانت جفونه تتدلى ثم تنفتح مجدداً. كان يضعأصابعه في لحيته ويشدها بين الحين والآخر، كما لو كنت أفكر في شيء أسمعه على التلفاز.

علىالشاشة، تعرضت مجموعة من الرجال الملثمين للهجوم والتعذيب من قبل رجال يرتدونأزياء هياكل عظمية ورجال يرتدون أزياء شياطين. وكان الرجال الذين يرتدون أزياء الشياطين يرتدونأقنعة شيطانية وقروناً وذيولاً طويلة. وكان هذا العرض جزءاً من موكب.

قالرجل إنجليزي كان يروي القصة: "مع ذلك، كان يحُتفل به في إسبانيا مرة واحدة في السنة. حاولتُ أن أشرح للرجل الكفيف ما كان يحدث."

قال:"الهياكل العظمية". ثم أومأ برأسه قائلاً: "أنا أعرف عن الهياكل العظمية".

علىالشاشة، تعرضت مجموعة من الرجال الملثمين لهجوم وتعذيب من قبل رجال يرتدونأزياء هياكل عظمية ورجال يرتدون أزياء شياطين. كان الرجال الذين يرتدون أزياء الشياطين يرتدونأقنعة شيطانية وقروناً وذيولاً طويلة. كان هذا الموكب جزءاً من احتفال. حاول الرجل الإنجليزيالذي كان يروي القصة أن يشرح للرجل الكفيف ما يحدث. قال: "هياكل عظمية". قال: " أعرفعن الهياكل العظمية"، وأومأ برأسه.

كانتهناك أوقاتٌ يصمت فيها الإنجليزي الذي يروي القصة، فأترك الكاميرا تتحرك فوق الكاتدرائيات.أو تتحرك الكاميرا في الحقل، والرجال يسيرون خلف الثيران. انتظرتُ ما استطعت.

ثمشعرتُ أن عليّ أن أقول شيئاً. فقلت: "إنهم الآن يعرضون واجهة هذه الكاتدرائية. تماثيلغريبة. تماثيل صغيرة منحوتة تشبه الوحوش. أعتقد أنهم الآن في إيطاليا. نعم، إنهم في إيطاليا."

توجدلوحات فنية على جدران هذه الكنيسة.

"هل هي لوحات جدارية يا صديقي؟" سأل، ثم ارتشف رشفة من مشروبه.

أمسكتُ بكأسي، لكنه كان فارغاً. حاولتُ أن أتذكر ما أستطيع تذكره. قلتُ: "هل تسألني إنكانت تلك الثمار الطازجة؟" أجاب: "هذا سؤال وجيه. لا أعرف."

انتقلتالكاميرا إلى كاتدرائية على مشارف لشبونة. لم تكن الاختلافات بين الكاتدرائية البرتغاليةوالكاتدرائية الفرنسية والإيطالية كثيرة. كانت رائعة. لكنها كانت موجودة. خاصةً في التصميمالداخلي. ثم خطرت لي فكرة فقلت: "خطرت لي فكرة. هل لديك أي فكرة عن ماهية الكاتدرائية؟"

كيفتبدو هذه الكنائس؟ هل تفهمني؟ نعم، إذا ناداك أحدهم بالكاتدرائية، هل لديك أدنىفكرة عما يتحدث عنه؟ هل تعرف الفرق بينها وبين الكنيسة المعمدانية؟ قل مثلاً؟

أطلقالدخان من فمه. قال: "أعلم أن بناءها استغرق مئات العمال خمسين أو مئة عام. سمعتالرجل يقول ذلك للتو، على سبيل المثال. أعلم أن أجيالاً من العائلات نفسها عملت في بناءالكاتدرائية. سمعته يقول ذلك أيضاً. الرجال الذين بدأوا حياتهم المهنية في النهر... لم يعيشوا ليرواالاكتمال عملهم. بهذا المعنى يا صديقي، لا، إنهم مختلفون عنا، أليس كذلك؟" ثم أغمض عينيه.أومأ برأسه. بدا وكأنه نائم. ربما كان يتخيل نفسه في البرتغال.

عرضالتلفاز كاتدرائية أخرى. كانت هذه في ألمانيا. استمر صوت الإنجليزي. قال الرجل الكفيف:"كاتدرائيات". ثم جلس وأدار رأسه يميناً ويساراً. "إذا كنت تريد الحقيقة يا صديقي، فهذا كلما أعرفه. ما قلته للتو. ما سمعته يقوله. لكن هل يمكنك أن تصف لي واحدة؟ أتمنى ذلك. أود ذلك.إذا كنت تريد أن تعرف، حقاً "ليس لدي فكرة جيدة."

حدقتُفي صورة الكاتدرائية على التلفاز. كيف لي أن أبدأ بوصفها؟ لكن لنفترض أن حياتيكانت معلقة بها. لنفترض أن حياتي كانت مهددة من قبل رجل مجنون قال لي إن عليّفعل ذلكوإلا... نظرتُإلى الكاتدرائية لبرهة قبل أن تختفي الصورة في الحقل. لا، لم يكن ذلك ذا فائدة.التفتُإلى الرجل الكفيف وقلت: "بدايةً، إنهم طوال القامة جداً". كنتُأبحث في أرجاء الغرفةعن أدلة.

"إنها ترتفع عالياً إلى أعلى وأعلى. إلى السماء. إنها ضخمة جداً، بعضها،"
لابد من وجود هذه الدعامات. لدعمها، كما يقُال. تسُمى هذه الدعامات بالركائز. يتذكرون الجسور المعلقة،لسبب ما. لكن ربما لا تعرف الجسور المعلقة؟ أحياناً تزُين واجهات الكاتدرائيات بنقوش شياطينوأشياء من هذا القبيل. وأحياناً تزُين بنقوش لرجال وسيدات.

قلت:"لا تسألني لماذا هو كذلك".

كانيومئ برأسه. بدا الجزء العلوي من جسده بأكمله وكأنه يتحرك للخلف و
إلىالأمام.

قلت:"أنا لست بخير، أليس كذلك؟"

توقفعن الإيماء وانحنى للأمام على حافة الأريكة. وبينما كان يستمع إليّ، يمرر أصابعه بين لحيته،لم أستطع التواصل معه، كنت أرى ذلك. لكنه انتظرني لأكمل حديثي. أومأ برأسه، كما لو كانيحاول التخفيف عني. حاولت التفكير فيما أقوله. قلت: "إنها ضخمة حقاً". إنها هائلة. مبنية منالحجر. وأحياناً من الرخام أيضاً. في تلك الأيام الخوالي، عندما بنوا الكاتدرائيات، كان الناس يرغبونفي التقرب إلى الله. في تلك الأزمنة القديمة، كان الله جزءاً مهماً من حياة كل فرد. وكان هذاواضحاً من خلال بناء الكاتدرائيات.

قلتُ:"أنا آسف، ولكن يبدو أن هذا أفضل ما يمكنني فعله من أجلك. لا."

أناأجيد ذلك".

قالالرجل الكفيف: "حسناً يا صديقي، اسمع! سأنتظرك. هل لي أن أسألك سؤالاً؟ دعني أسألكسؤالاً بسيطاً، بنعم أو لا. أنا فضولي فقط، فلا تنزعج. أنا مضيفك. لكن دعني أسألك إن كنتمتديناً بأي شكل من الأشكال. ألا تمانع سؤالي؟"

هززترأسي. لكنه لم يستطع رؤية ذلك. الغمزة كالغمزة بالنسبة للأعمى. "أظن أنني لا أؤمنبذلك. بشيء ما. أحياناً."

الأمرصعب. هل تفهم ما أقصده؟

قال:"بالتأكيد".

قلت:"صحيح".

واصلالإنجليزي حديثه. تنهدت زوجتي في نومها. أخذ نفساً عميقاً وواصل نومه.

قلت:"عليك أن تسامحني، لكن لا أستطيع أن أصف لك كيف يبدو الأمر. كاتدرائية." الأمرليس بيدي. لا أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت.

ظلالرجل الكفيف ساكناً تماماً، ورأسه منحني، بينما كان يستمع إليّ.
قلتله: "الحقيقة هي أن الكاتدرائيات لا تعني لي شيئاً مميزاً. لا شيء. مجرد كاتدرائيات. إنها شيءيشُاهد على التلفزيون في وقت متأخر من الليل. هذا كل ما في الأمر."

عندهاتنحنح الرجل الكفيف. أحضر شيئاً ما. أخرج منديلاً من جيبه الخلفي. ثم قال: " فهمتيا صديقي. حسناً. يحدث هذا. لا تقلق. اسمعني جيداً. هل يمكنك أن تسدي لي معروفاً؟ لديفكرة. لماذا لا تحضر لنا بعض الورق السميك؟ وقلماً. سنفعل شيئاً ما. سنرسم شيئاً معاً. أحضرلنا قلماً وورقاً سميكاً. هيا يا صديقي، أحضر الأشياء."

قال.

ثمصعدت إلى الطابق العلوي. شعرت وكأن ساقيّ قد خارتا.
كمافعلوا بعد أن ركضوا قليلاً. في غرفة زوجتي، نظرت حولي. وجدت بعض الأقلام في سلة صغيرة علىطاولته. ثم حاولت أن أتذكر أين أبحث عن نوع الوثيقة التي كان يتحدث عنها.

فيالطابق السفلي، في المطبخ، وجدتُ كيس تسوق بداخله قشور بصل. أفرغتُ الكيس وهززته.أخذته إلى غرفة المعيشة وجلستُ بجانبه، قرب ساقيه. رتبتُ بعض الأشياء، وسويتُ تجاعيدالكيس، ثم فردته على طاولة القهوة.

نهضالرجل الكفيف من على الأريكة وجلس بجانبي على السجادة.

مررأصابعه على الورقة. صعد بها ونزل بها على جوانبها. حوافها، حتى حوافها. لمس زواياها.

قال:"لا بأس. حسناً، لنفعل ذلك."

وجديدي، اليد التي تحمل القلم. وضع يده على يدي. قال: "هيا يا صديقي، ارسم. ارسم. سترى.سأتبعك. كل شيء سيكون على ما يرام."

ابدأالآن كما أقول لك. سترى.

قالالرجل الأعمى: "ربطة عنق".

بدأتُ الرسم. أولاً، رسمتُ صندوقاً يشبه خرطوماً. ربما كان المنزل الذي كان يسكنه. ثم رسمتُ سقفاً. وعلى طرفي السقف رسمتُ برجين. أمرٌ غريب.

قال:"جيد. رائع. أنت تبلي بلاءً حسناً. لم تتوقع أبداً أن يحدث شيء كهذا في حياتك، أليس كذلك يا صديقي؟ حسناً، إنها حياة غريبة، كما نعلم جميعاً. تابع الآن. استمر على هذا المنوال ".

وضعتُ نوافذَ مقوسة. رسمتُ دعاماتٍ طائرة. علقّتُ أبواباً ضخمة. لم أستطع المماطلة. انقطعبثّ التلفزيون. وضعتُ القلم، وأغلقتُ أصابعي وفتحتها. لمس الرجل الكفيف الورقة.

حركأطراف أصابعه فوق الورقة، فوق كل ما رسمه، ثم أومأ برأسه.

قالالرجل الكفيف: "أنا بخير".

أخذتُ القلم مجدداً، فوجد يدي. واصلتُ الرسم على هذا النحو. لستُ فناناً، لكنني واصلتُ الرسم بنفس الطريقة.

فتحتزوجتي عينيها وحدقّت بنا. كان يجلس على الأريكة، ورداؤه مفتوح. قالت: "ماذا تفعل؟أخبرني، أريد أن أعرف."

لمأجب.

قالالرجل الكفيف: "نحن نرسم كاتدرائية. أنا وهو نعمل عليها. قال لي: "ابذل جهداً كبيراً" .قلت: "هذا صحيح. هذا جيد". قلت: "بالتأكيد. أنت قادر على ذلك يا صديقي. أستطيع أن أقول ذلك.لم تكن تظن أنك تستطيع. لكنك تستطيع، أليس كذلك؟ أنت الآن على وشك الانتهاء. هل تفهمما أقصده؟ سننجز شيئاً ما هنا في غضون دقيقة. كيف حال ذراعك؟" قال: "ضع بعض الأشخاصهناك الآن. ما هي الكاتدرائية بدون أشخاص؟"

قالتزوجتي: "ما الأمر؟ روبرتو، ماذا تفعل؟ ما الذي يحدث؟" فأجابها: "لا بأس". ثم قال ليالرجل الكفيف: "أغمض عينيك الآن".

لقدفعلت ذلك. أغلقتها تماماً كما قال.

قال:"هل هي مغلقة؟ لا داعي للمراوغة."

قلت:"إنها مغلقة".

قال:"أبقها على هذا النحو". ثم قال: "لا تتوقف الآن. ارسم". وهكذا واصلنا الرسم. لامست أصابعهأصابعي بينما كانت يدي ترسم على الورق. كان شعوراً لم أختبره من قبل في حياتي.

ثمقال: "أعتقد أن هذا هو الأمر. أعتقد أنك فهمت الأمر. ألق نظرة."

ماذاتعتقد؟"

لكنني كنت مغمض العينين. فكرت أن أبقيهما على هذه الحال لفترة أطول قليلاً. ظننتُ أنه شيءٌ يجب عليّ فعله. قال: "جيد؟ هل تراقب؟" كانت عيناي لا تزالان مغمضتين. كنتُ في منزلي. كنتُ أعرف ذلك. لكنني لم أشعر بشيءٍ في تلك اللحظة.

قلت:"إنه لأمرٌ مميز حقاً".

هذا العمل مخصص للاستخدام التكميلي في الفصول الدراسية فقط. يحتفظ المؤلف وممثلوه والناشرون بحقوق النشر الفردية لهذا العمل الأدبي.